جذور الشعر السياسي

عند نزار القباني

الجزء الثاني

الدكتور

فاضل محمد عبد الله الزبيدي

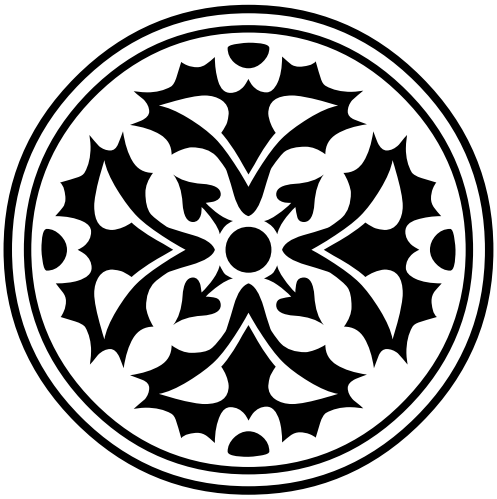

هوامش على دفتر النكسة
القصيدة . . والزلزال

مما لا شك فيه أن نكسة ١٩٦٧م كانت هي الزلزال الذي هز كيان نزار قباني كما هز كيان كل مواطن عربي . . . فقد كانت تحولاً هاماً على مستوى الحدث الوطني . . قلبت كل الموازين وقلبت كل الحسابات والتوقعات وغيرت الخريطة الجغرافية والعسكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة العربية بأسرها.

لقد صدمت النكسة بكل ما تولد عنها من انكسار وهوان ومرارة مشاعر نزار قباني وفجرت فيه طاقات كانت كامنة وأيقظت مشاعر كانت نائمة وحولته تحولاً كبيراً وخطيراً وأحدثت فيه ما تحدثه المعجزات، فتحول من شاعر النساء والفراء والعطور إلى شاعر النضال الوطني والجندي الأول في خندق المقاومة واصبحت قصيدة هوامش على دفتر النكسة التي كتبها الشاعر عقب النكسة مباشرة معبراً عن حالة كل العرب بعد النكسة وفقدان الاتزان الذي اصاب الجميع بل اصبحت قصيدة (هوامش على دفتر النكسة) بيانا عسكرياً مكملاً للبيانات العسكرية التي أصدرتها القيادة إبان حرب ١٩٦٧م.

والقصيدة نالت شهرة واسعة جداً وطبعت عدة مرات في ديوان مستقل كأهم مطولات نزار قباني مما جعلنا نقف وقفة فنية عند القصيدة تلقي الضوء على أهم معالمها وملامحها الفنية .

والهوامش بلغت ١٥٠ سطراً شعرياً قسمها الشاعر إلى ١٩ وحدة أو مقطع ونقول هنا وحدة وليست مقطعاً لأن المقاطع من شانها أن تكون متساوية متناسقة متوازنة مثل اللبنات والقوالب التي يبني منها البناء فكل لبنة صورة متكررة من باقي اللبنات . . ولكن الوحدات هنا منها ما هو سطران ومنها ما هو حوالي ١٣ سطراً تطول الوحدات أو تقصر حسب الدافقة الشعورية للشاعر وحسب الاسترسال النفسي والعاطفي.

والقصيدة هي عبارة عن سيناريو كامل يضم العديد من المشاهد واللقطات المتتابعة مثل العمل السينمائي تبدأ بقول الشاعر:

أنعى لكم ياصدقائي. .

وتنتهي بقوله:

وانتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة

فبدأها بالهزيمة وأنهاها بالأمل في النصر من خلال جيل جديد غير الجيل المهزوم المكسور الذي فقد كل مقومات الصلاحية كما أن الشاعر انتهج أسلوب التبليغ العربي المعهود عندما يخرج المنادي ومعه

الطبل يقرعه بجلد في يده حتى يتجمهر الناس حوله فيلقي على مسامعهم بالخير السعيد أو الحزين أو ينعى لهم أميرا من الأمراء أو كبيراً من الكبراء أو يطلعهم على فرمان أصدره السلطان وينهي بلاغه بعبارة متكررة ((الحاضر يبلغ الغائب))

هكذا كانت وسيلة الإعلام وكانت نشرات الأخبار وكانت إصدارات الصحف.

والشاعر يلقي الخبر مباشرة ((انعي لكم)) فيلقى بالخير مثل الصدمة الكهربائية ليكون التأثير شديداً ومباشراً فيأتي بالغرض المطلوب منه.

- ١ -

والشاعر في ((هوامش على دفتر النكسة)) لا ينعى أميرا ولا كبيراً ولكنه ينعى لنا أنفسنا . . ينعى لنا فقدنا أهم مقومات الإنسان العربي ، ينعى لنا عزتنا وكرامتنا ، ينعى لنا عروبتنا المتمثلة في لغتنا العربية وفكرنا العربي وتاريخنا العربي وأدبنا العربي وكل هذه الكنوز التي فقدت ، أجملها الشاعر في قوله:

(اللغة القديمة ـ الكتب القديمة ـ كلامنا المثقوب ـ مفردات العهر والهجاء الشتيمة ـ الفكر الذي قاد إلى الهزيمة) فالهزيمة بدأت بهزيمة فكرية وثقافية لهذا الفكر العقيم المثقوب المرقع بالعهر والهجاء والشتيمة الذي كان من مقدمات النكسة.

فالأزمة كما جسدها الشاعر في بدايتها هي أزمة فكر مهترىء مترهل مميع مخنث قاد إلى الهزيمة لأننا مهزومون حتى قبل أن ندخل الحرب ففكرنا مقهور وسيفنا مكسور.

- ٢ -

النتيجة الحتمية لما حدث هي الشعور المرير بالحرب وبآثار الهزيمة وتوابعها لدرجة أن كل شيء على اللسان اصبح بطعم الملح . . حتى القصائد العذبة التي نؤثرها هلي سواها مالحة في فمنا حتى ضفائر النساء والعشق وهو شيء أثير لدى العربي وكذلك الليل بجماله وستائره ومقاعده الوثيرة في سهرات الأنس والملذات كل شيء فقد جماله وبريقه وأصبح مالحاً . . مالحاً.

-٣-

لقد كانت النكسة محطة على طريق الشعر في حياة شاعرنا الكبير ونقطة تحول كبرى حولته من النقيض إلى النقيض من شاعر الفراء والنساء والمخمل والعطور إلى شاعر الرصاص والألغام . . من شاعر الغزل والحب والحنين إلى شاعر يكتب بالسكين يغرسها في اللحم والجلد والعظام.

حاول الشاعر أن يقدم كشف حساب الهزيمة والسبب الحقيقي لما آل إليه حال العرب من هزيمة وترهل وانهزامية فيقول أن السبب يعود إلى إن الإنسان العربي دائماً مقصر في الدور المفروض عليه ومتهاون في الو ظيفة المنوطة به فما نكتبه من أشعاره وما نسطره في الأوراق اقل بكثير من مشاعرنا الحقيقية لذلك يجب أن نخجل من أشعارنا.

ويضيف إننا إذا كنا قد خسرنا المعركة مع إسرائيل فإن هذا شيء طبيعي لا غرابة فيه وإن المقدمات لابد أن تؤدي إلى ما تقتضيه من توالي فالعرب دخلوا المعركة ولم يقدموا لها مقتضياتها . . بل دخلوها بكل ما يملكون من مواهب الشعر والخطابة المنبرية والعنتريات الجوفاء التي لم تسفر عن مقتل ذبابة دخلوا المعركة بأسلوب الطبل والزمر وأناشيد الربابة والبطولات الوهمية المزعومة فصمت دهراً ونطق كفراً ويتمخض الجبل فيلد فاراً.

- ٧، ٨ -

ويلخص الشاعر القضية في جملة جامعة مانعة اعتبرها فصل الخطاب في الهزيمة وهي ((التخلف)) . . وجعل التخلف هو سبب كل المآسي التي يعيشها الإنسان العربي فنحن عندما دخلنا عصر الحضارة دخلناه بروح جاهلية مليئة بكل عوامل النقص وكل روح التخلف . . لأنه بالناي والمزمار لا يمكن أن يحدث انتصار.

- ٩ -

وكان الثمن فادحاً . . ثمن تخلفنا ورجعيتنا وارتجالنا كلفنا خمسين ألف ضحية جديدة انضم إليها عشرات الآلاف من اللاجئين الجدد من الفلسطينيين والعرب الذين شردوا وهجروا وطردوا من بيوتهم سواء قصراً بسبب ويلات الحرب أو اختياراً بسبب الدمار والخراب الذي لحق بديارهم فوجدوا أنفسهم فجأة في العراء.

- ١٠ -

يحمل الشاعر حملة شعواء على التواكلية عند الإنسان الشرقي والعربي على وجه الخصوص فهو دائماً غير منطقي مع الأشياء ومع نفسه إذا حقق النجاح ارجع ذلك النجاح إلى عبقريته الفذة وإذا فشل ارجع الفشل للأقدار والظروف غير المواتية وسوء الحظ الذي يلازمه . . لذلك فهو يقول للعرب لا ترجعوا الهزيمة للظروف غير المواتية ولا تلعنوا الأقدار ولا تعتبوا على السماء التي تخلت عنكم فالله ليس طوع أمركم أو رهن إشارتكم فالله يؤتي النصر من يشاء.

-١١ -

يعود الشاعر (فلاش باك) إلى تلقي الخبر المفزع في الصباح ودائماً يرتبط الصباح بالخير حزيناً كان أو سعيداً . . ويشبه الشاعر غضب العرب وصراخهم بعد تلقي الهزيمة بالكلاب النابحة.

- ١٢ -

يؤكد الشاعر حقيقة هامة وهي أن الهزيمة كانت اجتماعية ونفسية قبل أن تكون هزيمة عسكرية واليهود لم يدخلوا من الحدود وإنما دخلوا من العيوب والأخطاء . . فثوبنا المثقوب المرقع وحالنا المهلهل المهترىء هو السبب في الاختراق والاحتلال.

-١٣-

يعري الشاعر العرب ويكشف عوراتهم وينزع حتى أوراق التوت فيكشف المستور ويظهر المخبوء .. ويقول انهم ظلوا خمسة آلف سنة في حالة من التوقع والانعزال يعيشون في السراديب المظلمة شانهم شان أهل الكهف فطالت ذقونهم بصورة مزرية أصبحت عملتهم قديمة لا تناسب العصر وعيونهم مليئة بالنعاس يعف عليها الذباب ويحاول الشاعر أن يدلهم على ((روشتة)) الخروج من المحنة وذلك بان يكسروا الأبواب المغلقة وان ينفتحوا على العالم بان يغيروا من أفكارهم القديمة المبتذلة وثوابهم المهلهلة المتسخة وان يخرجوا من حالة الجهل التي هم عليها وان يقراوا كتاباً أو يكتبوا كتاباً أي يمارسون مهنة الفكر للقضاء على حالة التردي الفكري والأمية الثقافية التي غشيت الحياة العربية بعد أن ابتعدوا عن العالم فابتعد العالم عنهم واصبح يجهلهم بل يكاد يحبسهم نوعاً من الذئاب المستأنسة الأليفة.

-١٤ -

يقترب الشاعر من الحقيقة أكثر وأكثر ويحاول تعريتها دون وجل أو خجل ويدس المشرط في الجرح لينبشه حتى يخرج ما فيه من قيح فيقول أن الإنسان العربي أصبح على درجة كبيرة من البلادة والبرود الشعوري والإفلاس الروحي واستسلم العرب للدجل والشعوذة من زار ولهو وعبث ولعب ونوم ونعاس وحسبنا أن نتشدق بمآثرنا وأمجادنا هل نحن حقا من قال فينا الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

- ١٥ -

يبدأ الشاعر في تعرية الواقع العربي قبل حرب حزيران ويقدم المقدمات والإرهاصات التي مهدت لحدوث نكسة ٦٧ أو التي كانت النكسة نتيجة طبيعية لها . . فيضرب مثلاً لذلك بان النفط العربي كان يمكن أن يستخدم خنجراً سياسياً وسلاحاً قوياً ضد الاعتداء ولكنه للأسف الشديد يستخدمه أبناء الخليج في الصرف على النساء والإنفاق على السهرات الحمراء وفي المقابل تمارس السحل والتعذيب ضد أبناء

الوطن . . ونحن دائماً صغار نرتكب الصغار وتصدر كل تصرفاتنا عن انفعالات طائشة متسرعة وما يصاحب ذلك من سوء التقدير للأمور فنرفع الوضيع ونضع الشريف ونقضي وقتنا في المساجد بدون ضرورة مثل تنابلة السلطان نؤلف الأمثال أو نقرض الأشعار ثم نطلب النصر من الله ولم نقدم مقدماته.

- ١٦ -

يتوجه الشاعر بخطابه إلى جمال عبد الناصر الذي يرمز إليه بالسلطان فيقول له أن كلاب حراسته ورجال مخابراته يتابعونه مثل ظله ويكشف له من أمثلة ممارسا تهم اللأنسانية مثل اقتحام حرمات البيوت واستجواب النساء ثم التعدي بالضرب والتعذيب وإهدار آدمية الإنسان.

وبعد أن يخلص من مظلمته الشخصية ينتقل إلى قضية عامة كي يبرر للسلطان سبب خسارة معركتيه أمام إسرائيل (معركة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧) ويجملها في حالة الخرس التي فرضت على الشعب ويتساءل الشاعر عن قيمة الشعب الذي ليس له لسان وان هذا الشعب محاصر داخل نفسه مسجون داخل الجدران محاصر كالنمل والجرذان.

ثم يبرر أسباب الهزيمة وفي مقدمتها الانفصال عن قضية الإنسان والتخلي عن قضية ((الوحدة العربية)) ودفنها في التراب ومزقناها بالتراب ولو أننا جعلناها حلمنا الأبدي لما استباح المعتدون لحمنا ودمنا.

-١٧ -

أدرك الشاعر بحسه وبصيرته أن المهزوم لا يصنع انتصاراً لأن فاقد الشيء لا يعطيه . . كما أدرك أن الجيل الحالي فقد مكسبات الطعم وفقد مقومات الصلاحية فأهال الشاعر عليه التراب وأحاله على التقاعد . . واتجه بامله وحلمه إلى جيل جعله معقد الآمال ، هذا الجيل الذي وصفه نزار بأنه ((جيل غاضب يستطيع أن يستشرف الآفاق و ((ينكش)) في جذور التاريخ ويبحث في التراب ليبحث عن طريق للخلاص . . وقد قدم مقومات وصفات هذا الجيل الجديد وهي جيل غاضب ـ مختلف الملامح ـ لا يغفر الأخطاء ـ لا يعرف النفاق ـ قوي عملاق)) .

- ١٨ -

وكما قلنا أدرك الشاعر أن الجيل القادم هو جيل النصر والخلاص فاتجه إلى الأطفال من المحيط إلى الخليج وطالبهم بكسر الأغلال ـ وقتل أفيون النعاس والأرحام وطلب منهم أن ينسوا الأجيال المهزومة الخائنة حتى لا تسري إليهم العدوى لأننا جيل ملعون خائب وتافه ـ مرضى ـ دجالون راقصون على الحبال.

ثم يتوجه بالخطاب إلى الأطفال باعتبارهم الأمل في الخلاص فانتم بذور الخصب في حياتنا العقيمة وانتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة.

كتابات على جدران المنفى

(١)

يا سيدتي :
كيف أصور هذا العصر الا معقول ،
نسيت الوصفا.
كنت أظن الكلمة بيتي
فإذا بهم . . سرقوا الباب . .
وسرقوا السقفا . .
سرقوا الورق الأبيض منا ،
سرقوا الحرفا .
ماذا نأكل ؟
ماذا نشرب ؟
كيف نعبر عن أنفسنا ؟
أنا نأكل ـ يا سيدتي ـ قمعا
أنا نشرب ـ يا سيدتي ـ خوفا
أين سنذهب يا سيدتي ؟
إن عبور الشارع خطر .
إن ركوب المصعد خطر .
والسيارة خطر .
والدراجة خطر.
والطيارة خطر .
ليس هناك مكان .
يجلس فيه الكاتب ،
ليس هناك مقهى . .

نصف الجملة في الجبانة . .
نصف الفكر في المستشفى . . .

(٢)

يا سيدتي:
ماذا يبقى من إنجيل الثورة ،
حين تقرر قتل مغنيها ؟
ماذا يبقى من كلمات الثورة ،
حين ستمضغ أكباد بنيها ؟
ماذا يبقى ؟
حين تخاف الدولة من رائحة الورد ،
فتحترق كل مراعيها . .
ماذا يبقى من فلسفة الثورة ،
حين تخاف طلوع الشمس ،
وتنتف ريش كناريها ؟
ماذا يبقى ؟
ماذا يبقى ؟
ماذا يبقى ؟
حين تبول الثورة فوق كلام نبييها . .

(٣)

يا سيدتي:
اطلب عفوك . .
إن لم اكتب في عينيك قصيدة شعر
إن العازف نسى العزفا.
كيف احبك ، يا سيدتي ؟
إن مباحث أمن الدولة ،

تلقى القبض على الأحلام . .
وترسل أهل العشق إلى المنفى . .

(٤)

يا سيدتي . . يا سيدتي
كنت قديماً أقرا جسمك
سطراً سطراً . .
حرفاً حرفاً . .
كنت قديماً أشعل في نهديك النار . .
وازرع بينهما سيفا . .
أما اليوم . . فا صبح شكل النهد ،
يشابه أسوار المنفى . .
يا سيدتي . يا لؤلؤتي . يا وحدتي .
كيف أمارس فعل الحب ..
وطعم الجنس له طعم المنفى ؟ ؟

(٥)

يا سيدتي .
كيف أقاوم هذا العصر المملوكي ،
وهذا الحقد النيروني ،
وهذا القتل المجاني ،
وهذا العنف ؟
كيف سأوقف هذا المد الا قومي ،
وهذا الفكر التجزيئي ،
وهذا المطر الكبريتي ،
وهذا النزفا ؟

كيف نعبر عن مأزقنا ؟
كيف نعبر عما يكسر في داخلنا ؟
كيف سنتلو آي الذكر على جثتنا ؟
إن مباحث أمن الدولة تطلب منا
أن لا نضحك . .
أن لا نبكي . .
أن لا ننطق . .
أن لا نعشق . .
أن لا نلمس كف امرأة . .
أن لا ننحب ولداً
أن لا نرسل أي خطاب
أن لا نقرا أي كتاب
إلا عن أحوال الطقس ، وإلا عن أسرار الطبخ ،
فتلك قوانين المنفى . . .

(٦)

يا سيدتي :
ماذا افعل لو جاءتني أمي في الأحلام ؟
ماذا افعل لو ناداني فل دمشق . .
وعاتبني تفاح الشام ؟
ماذا افعل لو عاودني طيف آبي ؟
فالتجأ القلب إلى عيني الزرقاوين .
كسر حمام . .
يا سيدتي :
كيف أقولك شعراً ؟
كيف أقولك نثراً ؟
كيف أقولك ، يا سيدتي ، دون كلام ؟

(٧)

يا سيدتي :
كيف ابشر بالحرية . .
حين تواجه حكماً بالإعدام ؟
كيف آكل من خبز الحكام
وأولادي من غير طعام ؟
يا سيدتي :
إني رجل لم يتخرج من بارات السلطة ،
في أحد الأيام . . .
أو اشغلت وظيفة قرد . .
بين قرود وزارات الإعلام ! !
يا سيدتي :
إني رجل لا أتوارى خلف حروفي
أو أتخبأ تحت عباءة أي إمام . .
يا سيدتي : لا تهتمي .
فأنا اعرف كيف أكون كبيراً . .
في عصر الأقزام . . .

(٨)

يا سيدتي : لا تهتمي
سوف أظل احبك . .
حتى افتح نفقاً تحت البحر . .
واثقب حيطان المنفى .
لا تهتمي . .
لا تهتمي . .
لا تهتمي . .

إن المنفى في غابات الكحل الأسود
ليس بمنفى . . .

رسالة عتاب إلى الزعيم

وعندما اصدر نزار قصيدته ((الهوامش)) أحدثت كما قلنا زلزالاً في الوجدان العربي وأقامت الدنيا على نزار ويقول نزار في ذلك :
(ولكي يكتمل حديثنا عن حزيران وعما نالني بسببه من صلب ورجم وتشهير وتخوين أجد أن الأمانة التاريخية تقتضي أن أسجل للرئيس الراحل جمال عبد الناصر موقفاً لا يقفه عادة إلا عظماء النفوس واللماجون والموهوبون الذي انكشفت بصيرتهم وشفت دؤيتهم فارتفعوا بقيادتهم وتصرفاتهم إلى أعلى مراتب الإنسانية والسمو الروحي .
فلقد وقف الرئيس عبد الناصر إلى جانبي يوم كانت الدنيا ترعد وتمطر على قصيدتي (هوامش على دفتر النكسة) وكسر الحصار الرسمي الذي كان يحاول أن يعزلني عن مصر بتحريض وإيحاء من بعض الزملاء الذين كانوا غير سعداء لا تساع قاعدتي الشعبية في استعداء السلطة على حتى أن أحدهم طالب وزارة الإعلام بمقال نشره في إحدى المجلات القاهرية بحرق كتبي والامتناع عن إذاعة قصائدي المغناة من إذاعات القاهرة ووضع اسمي على قوائم الممنوعين من دخول مصر) .
يضيف نزار قائلاً : (وحيث شعرت أن الحملة خرجت من نطاق النقد والحوار الحضاري ودخلت نطاق الوشاية الرسمية قررت أن أتوجه مباشرة إلى الرئيس جمال عبد الناصر وبالفعل بعثت إليه بالرسالة التالية :

رسالة إلى عبد الناصر

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر
في هذه الأيام التي أصبحت فيها أعصابنا رماداً وطوقتنا الأحزان من كل مكان يكتب إليك شاعر عربي يتعرض اليوم من قبل السلطات الرسمية في الجمهورية العربية المتحدة لنوع من الظلم لا مثيل له في

تاريخ الظلم . وتفصيل القصة أنني نشرت في أعقاب نكسة الخامس من حزيران قصيدة عنوانها (هوامش على دفتر النكسة) أودعتها خلاصة ألمي وتمزقي وكشفت فيها عن مناطق الوجع في جسد أمتي العربية لا اقتناعي أن ما انتهينا إليه لا يعالج بالتواري والهروب وإنما بالمواجهة الكاملة لعيوبنا وسيئاتنا .

وإذا كانت صرختي حادة وجارحة وأنا اعترف سلفاً بأنها كذلك فلأن الصرخة تكون بحجم الطعنة ولأن النزيف يكون بمساحة الجرح .

من منا يا سيادة الرئيس لم يصرخ بعد ٥ حزيران ؟ . . من منا لم يخدش السماء بأظافره ، من منا لم يكره نفسه وثيابه وظله على الأرض .

أن قصيدتي كانت محاولة لإعادة تقييم كما نحن بعيداً عن التبجح والمغالاة والانفعال وبالتالي كانت محاولة لبناء فكر عربي جديد يختلف ملامحه وتكوينه عن الفكر ما قبل ٥ حزيران .

إنني لم اقل كثيراً مما قاله غيري ولم اغضب اكثر مما غضب غيري ، وكل ما فعلته أنني صغت بأسلوب شعري ما صاغه غيري بأسلوب سياسي أو صحفي ، وإذا سمحت لي يا سيادة الرئيس أن أكون اكثر وضوحاً وصراحة قلت إني لم أتجاوز في قصيدتي نطاق أفكارك في النقد الذاتي ، يوم وقفت بعد النكسة تكشف بشرف وأمانة حساب المعركة وتعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

إنني لم اخترع شيئاً من عندي فالخطاء العرب النفسية والسياسية والسلوكية مكشوفة كالكتاب المفتوح .

وماذا تكون قيمة الأدب يوم يجبن عن مواجهة الحياة بوجهها الأبيض والأسود معاً ومن يكون الشاعر يوم يتحول إلى مهرج يمسح أذيال المجتمع وينافق له .

لذلك أوجعني يا سيادة الرئيس أن تمنع قصيدتي من دخول مصر وان يفرض حصار رسمي على اسمي وشعري في إذاعة الجمهورية العربية المتحدة وصحافتها والقضية ليست قضية مصادرة شاعر لكن القضية أعمق وابعد .

القضية هي أن نحدد موقفنا من الفكر العربي كيف نريده . . حراً نصف حر شجاعاً أم جباناً . . نبياً أم مهرجاً .

القضية هي أن يسقط أي شاعر تحت حوافر الفكر الغوائي لأنه تفوه بالحقيقة والقضية أخيرا هي أن نعرف ما إذا كان تاريخ ٥ حزيران سيكون تاريخاً نولد فيه من جديد بجلود جديدة وأفكار جديدة ومنطق جديد .

قصيدتي أمامك يا سيادة الرئيس أرجو أن تقراها بكل ما عرفناه عنك من سعة أفق وبعد رؤية ولسوف تقتنع برغم ملوحة الكلمات ومرارتها بأنني كنت انقل عن الواقع بأمانة وصدق وارسم صورة طبق الأصل لوجهنا الشاحبة والمرهقة .

لم يكن بإمكاني وبلادي تحترق الوقف على الحياد . . فحياد الأدب موت له لم يكن بوسعي أن اقف أمام جسد أمتي المريض أعالجه بالأدعية والحجابات والضراعات.

فالذي يحب أمته يا سيادة الرئيس يطهر جراحها بالكحول ويكون ـ إذا لزم الأمر المناطق المصابة بالنار .

سيادة الرئيس . .

لا أريد أن اصدق أن مثلك يعاقب النازف على نزيفه والمجروح على جرحه ويسمح باضطهاد شاعر عربي أراد أن يكون شريفاً وشجاعاً في مواجهة نفسه أمته فدفع ثمن صدقه وشجاعته .

يا سيدي الرئيس . .

لا اصدق أن يحدث هذا في عصرك .

نزار قباني

بيروت في ٣٠ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٦٧

ولم يطل صمت عبد الناصر ولم تمنعه مشاكله الكثيرة وهمومه التي تجاوزت هموم البشر من اهتمام برسالتي . فقد روى لي أحد المقربين منه انه وضع خطاً تحت اكثر مقاطع الرسالة وكتب بخط يده التعليمات الحاسمة التالية :

- لم أقرا قصيدة نزار قباني إلا في النسخة التي أرسلها إلى وأنا لا أجد أي وجه من وجوه الاعتراض عليها .
- تلغى كل التدابير التي قد تكون اتخذت خطأ بحق الشاعر ومؤلفاته ويطلب إلى وزارة الإعلام السماح بتداول القصيدة .
- يدخل الشاعر نزار قباني إلى الجمهورية العربية المتحدة متى أراد ويكرم فيها كما كان في السابق.

التوقيع

جمال عبد الناصر

بعد كلمات جمال عبد الناصر تغير الطقس وتغير اتجاه الرياح وتفوق المشاغبون وانكسرت طبولهم ودخلت الهوامش إلى مصر بحماية جمال عبد الناصر ورجعت أنا إلى القاهرة مرة بعد مرة لأجد شمس مصر اشد بريقاً ونيلها اكثر اتساعاً ونجومها اكثر عدداً[1].

النفس الأخير

وكما كان أول جندي في خندق العرب يطلق الرصاص على عبد الناصر ويحمله وحده تبعات الهزيمة ويبعث إليه دون غيره بفاتورة الحساب الثقيل وينصب نزار من نفسه متحدثاً باسم الشعب العربي يفتح معه الملفات القديمة وينكا الجرح الملتئمة وينبش القبور ويستخرج جثث المتى ويستعدى عليه كل الجماهير العربية يغضبها وحزنها وثورتها .. باعتبار جمال عبد الناصر هو التجسيد الحي للحلم العربي الكبير والأمل الباقي لكل الملايين العربية . . رغم كل ذلك فعندما سقط عبد الناصر شهيد الهموم والأحزان والصراعات . . أصيب نزار بهستريا وكان الخبر مثل الصاعقة التي هزت وجدانه من الأعماق . . فرح يبعث إليه بعدة رسائل على شكل قصائد رثاء وكأنه يكفر عن كل أخطائه وخطاياه في حق الزعيم . . كتب له أربع قصائد يعتذر إليه باسم الجماهير العربية أيضا عما حدث منهم من خيانات وغدر واستهتار وعدم اهتمام وسلبية ونفاق ومداهنة وتخاذل وانهزامية . .

لقد كان نزار عظيماً حين هاجم وعظيماً حين مدح وكان في الحالتين منفعلاً بحرارة وصدق ولكنه انفعال موضوعي .

رثاء جمال عبد الناصر

(١)

قتلناك . . يا أخر الأنبياء
قتلناك . .
ليس جديداً علينا اغتيال الصحابة والأولياء
فكم من رسول قتلنا . .

[1] ـ نزار قباني / قصتي مع الشعر .

وكم من أمام . .
ذبحناه وهو يصلي صلاة العشاء
فتاريخنا كله محنة
وأيامنا كلها كر بلاء . .

(٢)

نزلت علينا كتاباً جميلاً
ولكننا لا نجيد القراءة . .
وسافرت فينا لأرض البراءة
ولكننا . . ما قبلنا الرحيلا ..
تركناك في شمس سيناء وحدك ..
تكلم ربك في الطور وحدك
وتعري . .
وتشقي . .
وتعطش وحدك . .
ونحن هنا القرفصاء
نبيع الشعارات للأغبياء
ونحشو الجماهير تبناً وقشا
ونتركهم يعلكون الهواء . .

(٣)

قتلناك . .
يا جبل الكبرياء
وآخر قنديل زيت . .
يضيء لنا ليالي الشتاء
وآخر سيف من القادسية

قتلناك نحن فكلتا يدينا
وقلنا المنية . .
لماذا قبلت المجيء إلينا ؟
فمثلك كان كثيراً علينا . .
سقيناك سم العروبة حتى شبعت . .
رميناك في نار عمان . . حتى احترقت
أريناك غدر العروبة حتى كفرت
لماذا ظهرت ؟
فنحن شعوب من الجاهلية
ونحن التقلب . .
نحن التذبذب . .
والباطنية . .
نبايع أربابنا في الصباح
وناكلهم حين تأتى العشية . .

(٤)

قتلناك . .
يا حبنا وهوانا . .
وكنت الصديق وكنت الصدوق
وكنت أبانا . .
وحين غسلنا يدينا . . اكتشفنا
بانا قتلنا منانا . .
وان دماك فوق الوسادة . .
كانت دمانا
نفضت غبار الدراويش عنا . .
أعدت إلينا صبانا . .
وسافرت فينا إلى المستحيل

وعلمتنا الزهو والعنفوانا . .
ولكننا . .
حين طال المسير علينا
وطالت اضافرنا . . ولحانا
قتلنا الحصانا . .
فتبت يدانا . .
فتبت يدانا . .
أتينا إليك . . بعاهاتنا . .
وأحقادنا .. وانجرا فاتنا ..
إلى أن ذبحناك ذبحا
بسيف أسانا . .
فليت في أرضنا ما ظهرت . .
وليتك كنت نبي سوانا . .

(٥)

أبا خالد . . يا قصيدة شعر . .
تقال . .
فيخضر منها المداد . .
إلى أين ؟
يا فارس الحلم تمضى . .
وما الشوط . . حين يموت الجواد ؟
إلى أين ؟
كل الأساطير ماتت . .
بموتك . . وانتحرت شهرزاد
وراء الجنازة . . سارت قريش
فهذا هشام . .
وهذا زياد . .
وهذا بريق الدموع عليك

وخنجره تحت ثوب الحداد

وهذا يجاهد في نومه . .

وفي الصحو . .

يبكي عليه الجهاد . .

وهذا يحاول بعدك ملكا . .

وبعدك . .

كل الملوك رماد . .

وفود الخوارج . . جاءت جميعاً

لتنظم إليك . .

ملاحم عشق . .

فمن كفروك . .

ومن خوفوك . .

ومن صلبوك بباب دمشق ..

أنادي عليك . . أبا خالد

واعترف أنى أنادي بواد

واعرف انك لن تستجيب

وان الخوارق ليست تعاد . .

الفكر السياسي عند نزار

حين نطالع الملف السياسي لقصائد نزار قباني ذلك الملف الذي استغرق إعداده حوالي ثلاثين عاماً نستطيع من خلاله أن نصنف الشاعر سياسياً وان نضع أيدينا على ملامح الفكر السياسي عند نزار قباني بالرغم انه لم يشغل وظيفة سياسية ولم يكن زعيم حزب أو عضواً في منظمة أو رابطة جناح سياسي ولم يعرف ولاؤه أو انتماؤه لأي من التيارات السياسية في الوطن العربي فلم يكن يمينيا ولا يسارياً ولا برجوازياً ولا راديكالياً ولا ليبرالياً ولا موضوعاً في أي من خانتان الفكر السياسي .

ولكن إذا نقبنا وراء بصمات الشاعر في قصائده المختلفة نستطيع القول انه كان اشتراكياً ينحاز إلى الطبقة الشعبية من عمال وفلاحين ومواطنين فقراء بسطاء وانه كان ليبرالياً يدافع عن الحريات الخاصة والعامة ويقف في وجه الطغاة والمستبدين وضد كل وسائل القمع والتعذيب والتنكيل بالمواطن وانه كان قومياً عاش ومات من اجل الحلم القومي الكبير مدافعاً عن القضايا القومية وانه كان وحدوياً يضع الوحدة العربية الكبرى نصب عينيه ويرى فيها الحل الأمثل لأزمة العرب ويرى أنها نتيجة وضرورة حتمية لكل العرب ومن اجل ذلك حارب كل دعاة الطائفية والانفصال والتوقع وتقسيم الوطن العربي كانتونات صغيرة يسهل على الأعداء التهامها .

فلقد كان إيمان نزار قوياً بالوحدة العربية وهي الوجهة الحقيقية والترجمة الأمنية للحلم العربي والقومية العربية التي تتجسد من خلالها كل الأماني القومية ويعتبر الوحدة العربية هي السبيل الوحيد لا ستعمادة الكرامة والقوة والمجد والانتصار وبالتالي فإن إنكار الوحدة سبب لكل الهزائم ومنها هزيمة ١٩٦٧م.

لو أننا لم ندفن الوحدة في التراب
لو لم نمزق جسمها الطري بالحرب
لو بقيت في داخل العيون والأهداب
لما استباحت لحمنا الكلاب

والوحدة العربية هي تلاحم القوي النضالية وترابط الجماهير العربية ووقوفها صفاً واحداً في وجه كل القوى المعادية لذلك فقد آلم نزار ذلك التمزق الذي قضى على الوحدة العربية المامولة وبلاً من أن يزداد العرب اقتراباً واتحاداً . . ازدادوا تمزقاً وشتاتاً.

وأين هو الشارع العربي

الذي كان يمضغ لحم الطغاة
ويخترع العاصفة
وكيف خرجنا من الحلم الوحدوي الكبير
لندخل ثقباً صغيراً
يسمونه الطائفة[٢]

وفي قصيدة ((قرص الأسبرين)) التي كتبها في بيروت عام ١٩٨٥ يجلس نزار مع نفسه يستعرض حجم المأساة . . وحجم الخديعة وحجم الوهم الذي عاش فيه سنوات عمره وعاشت معه الجماهير العربية تحلم بالوطن العربي الكبير الذي تحول إلى تجمعات ثم أقطار مستقلة منفصلة ثم تحول الوطن الواحد إلى كردونات صغيرة تمزقها الطائفية لدرجة أن الشاعر يخجل من هذا الوطن الضئيل . . الحقير . . الصغير المهان الجبان الخائف مثل الفار المذعور المهزوم مثل السيف المكسور :

لا
ليس هذا وطني الكبير
لا
ليس هذا الوطن المربع الخانات كالشطرنج
والقابع مثل نملة في اسفل الخريطة
هو الذي قال لنا مدرس التاريخ في شبابنا
بأنه موطننا الكبير
فالوطن هنا ينكره التاريخ مثلما أنكرته الجغرافيا . .
لا
ليس هذا الوطن المصنوع من عشرين كانتونا
ومن عشرين دكانا
ومن عشرين صرافاً
وحلاقا
وشرطيا

[٢] ـ تزوجتك أيتها الحرية ، ص ١١٧.

وطبالاً . . وراقصة
يسمى وطني الكبير

وهذا الوطن بحكم عوامل التأقلم . . والتشرذم والتقزم اصبح فرقاً وشرائح ودكاكين احتل كل قطعة منه حاكم بأمره يتصرف على هواه دون الرجوع إلى عقل أو برلمان أو قاعدة شعبية أو حتى إلى حنكة شخصية :

لا
ليس هذا الوطن المحكوم من عشرين مجنونا
ومن عشرين سلطانا
ومن عشرين سجانا
يسمى وطني الكبير

والوطن ليس هو الجغرافيا فقط . . ليس هو المعنى الأطلسي للمكان بل هو مرتبط مع المواطن . . ذلك الإنسان الذي طحنته الأحداث وعركته برحاها فامتلأ بكل الأمراض التي تسمى عادة مخلفات الحرب :

لا
ليس هذا الوطن السادي . . والفاشي
والشحاذ . . والنفطي
والفنان . . والأمي
والثوري . . والرجعي
والصوفي . . والجنسي
والشيطان . . والنبي
والفقيه والحكيم والإمام
هو الذي كان لنا في سالف الأيام
حديقة الأحلام

وينظر نزار من حوله إلى وطنه فيراه كالأبله المعتوه:

لا
ليس هذا الأبله المعاق . . والمرقع الثياب
والمجذوب . . والمغلوب

والمشغول في النحو وفي الصرف
وفي قراءة الفنجان والتبصير
لا
ليس هذا وطني الكبير
فكل هذه الأمراض من جهل وسيلة وخرافات أدت إلى هزيمة الوطن وهزيمة الشعب:
لا . . .
ليس هذا الوطن المنكس الأعلام
والغارق في مستنقع الكلام
والحافي على سطح من الكبريت والقصدير
لا . . .
ليس هذا الرجل المنقول في سيارة الإسعاف
والمحفوظ في ثلاجة الأموات
والمعطل الإحساس والضمير
لا . . .
ليس هذا وطني الكبير
هذا الوطن الكبير . . اصبح صغيراً صغيراً جداً مثل علبة السردين . . مثل حبة أسبرين هان على أهله
فكان على الناس أهون :
يا وطني
يا أيها الضائع في الزمان والمكان
والباحث في منازل العربان
عن سقف وعن سرير
لقد كبرنا واكتشفنا لعبة التزوير
فالوطن المن اجله مات صلاح الدين
يأكله الجائع في سهوله
كعلبة السردين
والوطن المن اجله قد غنت الخيول في حطين
يبلعه الإنسان في سهوله
كقرص أسبرين

وقد ظل إحساس نزار بفقدان الوطن والشعور بعدم التمتع بحق المواطنة يلح عليه خاصة أبناء فلسطين الذين فقدوا الهوية وفقدوا الوطن :

إن النملة تملك وطنا

إن الدودة تملك وطنا

إن الضفدع يملك وطنا

إن الفأر تملك وطنا

إن الأرنب يملك وطنا

والسحلية والصرصار

وأنا ما ملكني أحد وطنا

ولذا أسكن يا سيدتي

وطنا بالإيجار[٣]

فهو غريب في الوطن حتى يشعر أنه يسكن وطناً بالإيجار . . وكلما قام العربي بتشييد وطن وأعماره جاء المغتصب المحتل سكن فيه والتهم خيرا ته وطرد أهله:

كل نهار

أبني وطناً أسكن فيه

فتجوفه الأمطار[٤]

ورغم سفر الألم وجبل المآسي وقاموس الهزائم والانكسارات والتمزقات العربية ظل نزار مؤمناً لآخر لحظة في عمره وآخر قطرة في دمه بأن الوحدة العربية آتية لا محالة وأن الحلم القومي ـ وإن كان مجرد حلم ـ فإن الأحلام يمكن أن تتحقق :

ما زلت برغم صراع الأخوة

أخترع الأحلام

وأقول بأن الله

سيجمع يوماً ما بين الأرحام

جسدي يشتاق إلى بغداد

وقلبي عند نساء الشام[٥]

---

[٣] ـ قصائد مغضوب عليها ، نزار قباني ص ٤٨.

[٤] ـ المصدر السابق ص ٤٤.

[٥] ـ تزوجت أيتها الحرية ص ٣٧.

وعندما وقعت مصر اتفاقية السلام مع إسرائيل قامت الدنيا ولم تقعد وهبت عليها رياح الخماسين من كل جهة وهاجمها كل العرب حتى أولئك الذين كانوا يتفاوضون سراً من أجل السلام . . وحتى الذين حفيت أقدامهم جرياً وراء السلام وقفوا ضد مصر عندما وقعت اتفاقية السلام . . وتشكلت جبهة المعارضين للسلام الإسرائيلي من خمس دول أطلقت على نفسها جبهة الصمود والتصدي . .

وانتصر أنصار السلام . . وانفرط عقد ((الصامدين)) وبدأت الدول العربية ((تهرول)) وراء السلام وتبحث عن الفرص الضائعة التي أتاحها لهم المفاوض المصري . . ولكن الظروف السياسية كانت قد تغيرت . . ودخل الفلسطينيون في مفاوضات مخاضها عسير وولادتها قيصرية . . وفي ((أوسلو)) و ((مدريد)) وقع الفلسطينيون اتفاقيات فرضت عليهم فرضاً بعد أن أضاعوا السلام الذي قدم لهم على طبق من ذهب أثناء توقيع مصر اتفاقية كامب ديفيد . .

الاتفاق الذي وقعه المهرولون يستخدم ألفاظاً موجعة بالغة الحد تغوص في اللحم العربي كما تغوص الخناجر فلا تخرج إلا بالدم.

بعد خمسين سنة

ما وجدنا وطناً نسكنه

إلا السراب

ليس صلحاً

ذلك الصلح الذي أدخل كا الخنجر

فينا

أنه فعل اغتصاب

وقد اختار أن تكون خاتمة المقطع كلمة اغتصاب لم يقل سرقة أو نهباً ؛ أو لصوصية لأنها جرائم وأوجاع قد تهون عند العربي إلا كلمة اغتصاب لأنها تمس الشرف والعرض وهو أغلى ما يمكن الإنسان العربي .

وكان أهم ما لفت نزار في توقيع المعاهدة هي الحضور الأمريكي والضغط الأمريكي بل والهيمنة الأمريكية التي صبغت كل شيء بصبغتها.

كان نصف المهر بالدولار
كان الخاتم الماسي بالدولار
كانت أجرة المأذون بالدولار
والكعكة كانت هبة من أمريكا
وغطاء العرس والأزهار والشمع
وموسيقى المارينز
كلها صنعت في أمريكا

أنه يريد أن يجمل القضية في جملة واحدة هي أن هذه المعاهدة ((صناعة أمريكية)) .

وانتهى العرس ولم تحضر فلسطين الفرح
بل رأت صورتها مبثوثة عبر كل الأقنية
ورأت دمعتها تعبر أمواج المحيط نحو شيكاغو وجيرسي . . وميامي
وهي مثل الطائر المذبوح تصرخ
ليس هذا العرس عرسي
ليس هذا الثوب ثوبي
ليس هذا العار عاري
أبداً يا أمريكا

وكان انتقاد نزار للمهرولين يعبر عن موقف شخصي . . وموقف جماعي. فالموقف الشخصي هو قناعة نزار بحتمية شعار ((ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة)). . وحتمية النضال القومي والكفاح المسلح حتى آخر طلقة رصاص وحتى آخر قطرة دم . ولآن نزار كما قلنا آمن بالمقاومة الفلسطينية اشترى البندقية وقيد اسمه في سجل المقاتلين . . ووضع رأسه على كفه ودخل في خندق واحد مع المقاتلين . . أما الموقف الجماعي فهو إيمانه بأن الأدوار السياسية يجب أن توزع بذكاء ومهارة وأن تطرق أبواب السلام عندما يكون طرفها واجباً . . وتدق طبول الحرب عندما يكون دق الطبول مطلوباً .. وأن يتبادل

العرب المواقع والأدوار . . وأن يتفقوا لعبة تقسيم أدوار اللعبة . . لأن السياسة حرب أخطر من حرب الرصاص والبنادق ولكن الذي حدث أن كل الذين تخلفوا عن السلام . . عادوا يهرولون . . ويتسابقون على السلام ويقفون في طوابير على أبواب مدريد . . وأوسلو . . وواي ريفر بلانتش . . وغيرها وغيرها من أكشاك المعاهدات ودكاكين المفاوضات السلمية . .

المهرولون

(١)

سقطت آخر جدران الحياء
وفرحنا . .
ورقصنا . .
وتباركنا بتوقيع سلام الجبناء
لم يعد يرعبنا شيء
ولا يخجلنا شيء
فقد يبست فينا عروق الكبرياء . .

(٢)

سقطت . .
ـ للمرة الخمسين ـ عذريتنا
دون أن نهتز . . أو نصرخ . .
أو يرعبنا مرأى الدماء . .
ودخلنا في زمان الهرولة . .
ووقفنا بالطوابير ، كأغنام أمام
المقصلة . .
وركضنا . . ولهثنا . .
وتسابقنا لتقبيل حذاء القتلة . .

(٣)

جوعوا أطفالنا خمسين عاما
ورموا في آخر الصوم إلينا . .
بصلة . .

(٤)

سقطت غر ناطة
ـ للمرة الخمسين ـ من أيدي العرب
سقطت التاريخ من أيدي العرب
سقطت أعمدة الروح . . وأفخاذ
القبيلة . .
سقطت كل مواويل البطولة . .
سقطت إشبيلية ..
سقطت إنطاكية . .
سقطت حطين من غير قتال
سقطت عموريا
سقطت مريم في أيدي المليشيات
فما من رجل ينقذ الرمز السماوي
ولا ثم رجولة . .

(٥)

لم يعد في يدينا . .
أندلس واحدة نملكها

سرقوا الأبواب ،
والحيطان ،
والزوجات ، والأولاد ،
والزيتون ، والزيت ،
وأحجار الشوارع
سرقوا عيسى بن مريم
وهو ما زال رضيعاً
سرقوا ذاكرة الليمون . .
والمشمش . . والنعناع منا
وقناديل الجوامع . .

(٦)

تركوا علبة سردين بأيدينا
تسمى ((غزه))
عظمةً يابسة تدعى ((أريحا)) . .
فندقا يدعى فلسطين . .
بلا سقف ولا أعمده . .
تركونا جسداً دون عظام
ويداً دون أصابع . .

(٧)

لم يعد ثمة أطلال لكي نبكي عليها
كيف تبكي أمة . .
أخذوا منها المدامع .؟

(٨)

بعد هذا الغزل السري ، في أوسلو
خرجنا عاقرين . .
وهبونا وطناً أصغر من حبة القمح . .
وطناً نبلعه من غير ماء
كحبوب الأسبرين ! ! . .

(٩)

بعد خمسين سنة . .
نجلس الآن على الأرض والخراب . .

(١٠)

بعد خمسين سنة . .
ما وجدنا وطناً نسكنه
إلا السراب
ليس صلحاً . .
ذلك الصلح الذي أدخل كا الخنجر
فينا . .
إنه فعل اغتصاب ! !

(١١)

ما تفيد الهرولة ؟
ما تفيد الهرولة ؟
عندما يبقى ضمير الشعب حياً
كفتيل القنبلة . .
لن تساوي كل توقيعات أوسلو . .

خر دله ! ! . .

(١٢)

كم حلمنا بسلام أخضر
وهلال أبيض
وببحر أزرق
وقلوع مرسله . .
ووجدنا فجأة أنفسنا
في مزبلة ! !

(١٣)

من ترى يسألهم
عن سلام الجبناء ؟
لا سلام الأقوياء القدرين
من ترى يسألهم ؟
عن سلام البيع بالتقسيط ،
والتأجير بالتقسيط . .
والصفقات . .
والتجار . . والمستثمرين ؟
من ترى يسألهم ؟
عن سلام الميتين . .
أسكتوا الشارع . .
واغتالوا جميع الأسئلة . .
وجميع السائلين . .

(١٤)

وتزوجنا بلا حب . .
من الأنثى التي ذات يوم ، أكلت
أولادنا . .
مضغت أكبادنا . .
وأخذناها إلى شهر العسل
وسكرنا . . ورقصنا . .
واستعدنا كل ما نحفظ من شعر
الغزل
ثم أنجبنا ـ لسوء الحظ ـ أولاداً
معاقين
لهم شكل الضفادع
وتشردنا على أرصفة الحزن ،
فلا من بلد نحضنه . .
أو من ولد ! !

(١٥)

لم يكن في العرس رقص عربي
أو طعام عربي
أو غناء عربي
أو حياء عربي
فلقد غاب عن الزفة أولاد البلد

(١٦)

كان نصف المهر بالدولار . .

كان نصف الخاتم الماسي بالدولار . .
كانت أجرة المأذون بالدولار ..
والكعكة كانت هبة من أمريكا . .
وغطاء العرس ، والأزهار ، والشمع ،
وموسيقى المار ينز . .
كلها قد صنعت في أمريكا . .

(١٧)

وانتهى العرس . . ولم تحضر
فلسطين الفرح
بل رأت صورتها مبثوثة عبر كل
الأقنية . .
ورأت دمعتها تعبر أمواج المحيط . .
نحو شيكاغو . . وجيرسي ..
وميامي . .
وهي مثل الطائر المذبوح تصرخ :
ليس هذا العرس عرسي . .
ليس هذا الثوب ثوبي . .
ليس هذا العار عاري . .
أبداً . . يا أمريكا . .
أبداً . . يا أمريكا . .
أبداً . . يا أمريكا . .

الوحدة العربية

وكان نزار وطنياً وحدوياً قومياً وصل حبه للوطن إلى درجة العشق وقد كانت كل قصائده النضالية هي ملاحم عشق لهذا الوطن . . والوطن عند نزار هو الحبيبة والحبيبة عن نزار هي الوطن . . كلاهما

الحب والعشق والحضن والحنان والأمان والسند . . وقد عبر عن حالات العشق الوطني قائلاً في قصيدة ((مع الوطن في زجاجة براندي)) :

- عندما أشرب الكأس الأول

أرسم الوطن دمعة خضراء

وأقلع ثيابي

واستحم فيها

- عندما أشرب الكأس الثانية

أرسم الوطن على شكل امرأة جميلة

وأشنق نفسي بين نهديها

- وعندما أشرب الكأس الثالثة

أرسم الوطن على شكل سجن

أقضي به عقوبة الأشعار الشاقة المؤيدة

- عندما تفقد الزجاجة ذاكرتها

أرسم الوطن على شكل مشنقة

تتدلى منها قصائدي في احتفال مهيب

الشاعر . . والجماهير العربية

وكان دائماً يراهن على الشعب ويؤمن بنبض الشارع العربي وقوة فعل الجماهير العربية التي تزلزل العروش وتسقط الحكومات وتهزم الإمبراطوريات . . لذلك فقد صدم نزار في الشارع العربي الذي خيم عليه الصمت وران عليه الهوان وأصيب بالخرس والعقم والجدب والجفاف :

لقد مر عشرون عاماً علينا

لقد مر عشرون عام

ولا نجم يسطع . .

لا أرض تحبل . .

لا قمح يطلع من تحت هذا الركام

ولا غيمه ماطرة

فهل نسي الشارع العربي الكلام

وصرنا شعوباً بلا ذاكره[٦]

لقد سئم نزار من السكوت والصمت الذي يلف الأرض العربية رغم كل المعاناة وكل المآسي التي تملأ الساحات العربية ورغم سقوط القتلى والجرحى في صبرا وشاتلا ومرج عيون . . ومرج الزهور . . والكرامة . . والجنوب اللبناني :

لقد مر عشرون عام

نسينا بها عبق الياسمين

وصوت المطر

تخاف العصافير منا

ويضجر منا الضجر

إلى أن أخذنا

ـ مع الوقت ـ شكل الحجر[٧]

لقد أصبحت البلاد وانعدام الإحساس شيئاً طبيعياً وعادياً حتى تحجرت القلوب والمشاعر :

لماذا الجماهير

بين المحيط وبين الخليج

تجوب الأزقة بالقطط الخائفة

وأين هو الشارع العربي

الذي كان يمضغ لحم الطغاة

ويخترع العاصفة [٨]

الشارع العربي هو الذي أشعل كل الأرض العربية ناراً في وجه استعمار الفرنسي في الجزائر . . والشارع العربي هو الذي حشد العرب صفاً واحداً في حرب ١٩٥٦ والشارع العربي هو الذي نصر أكتوبر وكتب سطور ملحمة العبور العظيم . . وهو أيضاً الذي قاد كل المعارك السياسية وأهمها معركة البترول التي تزعمها الملك فيصل . . والشارع العربي هو الذي حشد طاقات كل العمال العرب أثناء أزمة الباخرة المصرية كليوباترا . والشارع العربي هو الذي أبقى عبد الناصر في موقعه عندما قرر

---

[٦] ـ ديوان ((تزوجتك أيتها الحرية)) نزار قباني ص ١١٦ .
[٧] ـ المصدر السابق ص ١٢٥.
[٨] ـ ديوان ((تزوجتك أيتها الحرية)) نزار قباني ص ١١٧.

التنحي عقب النكسة وطالبه باستمرار مسيرة إزالة آثار العدوان . لذلك يكرر الشاعر صراخه وأنينه من أجل ذلك الشارع العربي :

ونحن هنا . .
نتناسل مثل الزواحف في الغرف المقفلة
فأين هو الشارع العربي
الذي كان يبصق نارا
ولا يعرف الفرق بين القصيدة والقنبلة [٩]

ويعود الشاعر ليصدمه الواقع المرير :

لقد مر عشرون عام
ونحن توابيت مصنوعة من رخام[١٠]

ومرة أخي يصفهم بالعظام البالية :

وأشهد أني
قرأت السلام على كل أهلي
ولكنهم لم يردوا السلام
فهل كنت أقرأ شعري
على كومة من العظام[١١]

وفي قصيدة ((الثقب)) يعزي هذه الجماهير العربية المترهلة المتهرئة المليئة بالثقوب والهنات والجراح والتي خبت فيها نار المقاومة وخمدت في عروقها الدماء.

الهوامش

١ـ الأدب العربي المعاصر في سوريا / د. سامي الكيالي ط ٢ ـ دار المعارف مصر ,١٩٦٧
٢ـ الأدب العربي المعاصر في فلسطين ـ د. كامل السوافيري .
٣ـ الأعمال النثرية الكاملة ـ منشورات نزار قباني ، بيروت ١٩٩٧ .
٤ـ تزوجتك أيتها الحرية منشورات نزار قباني ؛ ط١ ، ص١١٧ / ١٢٤ .

[٩] ـ المرجع السابق ص ١٢٠ .
[١٠] ـ المرجع السابق ص ١٢١.
[١١] ـ المرجع السابق ص ١٢٨.

٥ـ ديوان إبراهيم طوقان ؛ ص,٨٧
٦ـ الشعراء بين الحربين ؛ ص ٢٧٧/,٢٩٢
٧ـ ديوان طفولة نهد ـ منشورات نزار قباني ، بيروت ,١٩٧٣
٨ـ الضوء واللعبة ـ شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ,١٩٨٦
٩ـ القصائد المغضوب عليها ، نزار قباني ،ص,٤٨
١٠ـ انظر ديوان هوامش على دفتر النكسة ـ منشورات نزار قباني ؛ ص
١١ـ نزار القباني (قصتي مع الشعر) .
١٢ـ نزار قباني وعمر ابن آبي ربيعه ـ دراسة في فن الموازنة ، دار النهضة مصر القاهرة ,١٩٧١
١٣ـ نزار قباني والشعر السياسي ، احمد تاج الدين ، الدار الثقافية للنشر ، ط ١ ٢٠٠١م .
١٤ـ شعراء فلسطين العربية ، إبراهيم عبد الستار ؛ ص٢.

خلاصة البحث

لقد اعتاد النقاد على النظر إلى نزار القباني على انه شاعر الغزل أو شاعر النساء متناسين انه شاعر بكل ما تعنيه كلمة الشاعرية لذلك أدرت بحثي على كل ما يتصل بهذه الشاعرية المتدفقة فتناولت المراحل التي مر بها شعر القباني . مرحلة ما قبل نكسة حزيران ومرحلة ما بعدها فرأيتم شاعرا للنساء أو الغزل ونصيب الإغراض الأخرى لم تشغله الإحداث الوطنية كثيرا ولكنه لم يكن بعيدا عنها اعني نكبة دمشق او نكبة فلسطين أو العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٦٥ لكنه بعد هذه المرحلة الطويلة أصبح شاعرا وطنيا أثرت في شعره نكسة سنة ١٩٦٧ م وسلط نقمته على الرئيس جمال عبد الناصر في قصيدته المشهورة (دفتر على هوامش النكسة) وجه نقده إلى الرئيس جمال عبد الناصر والى الحكام العرب ثم توجه نزار بعد وفاة الرئيس عبد الناصر تحولا مفاجئا فتناول فضائل عبد الناصر نادما على نقده وتحامله الذي جر عليه المصائب صحا بها نزار من غفوته وصب اللوم على الحكام العرب وتقصيرهم إزاء الإحداث الوطنية فجاء هذا البحث طويلا يمثل جميع المراحل التي مر بها نزار في حياته الشعرية . وخلصت إلى انه بحق شاعر المرأة والسياسة شانه شان كل الشعراء حين يتفاعلون مع الإحداث فجاء بمقدمة ومباحث تجسد هذه المراحل وتعرض النماذج الشعرية بدراسة فنية مستفيضة

فنزار شاعر يتغنى بما يحيط به وما يدور من حوله ولا ينبغي النظر إليه على انه مقتصر في التفاعل مع الإحداث الوطنية الكبرى التي مرت بها الأمة العربية .

THE BACKGROUNDS
OF NAZAR GABANI'S POLITICAL POETRY

BY

Dr. FADHIL MUHAMMED ABDULLAH AL-ZUBAIDI

(Abstract)

Critics are used to viewing Nazasr Al Qabani as a courtship poet or women poet ignoring the fact that he is a poet in all the sense of the word . thus I directed research towards all they what is related to this rich poetics . so I dealt with the periods which Al Qabani poetry went through . The period that preceded and followed Junes setback , and I found him a courtship and women poet and the national events did not occupy his attention a lot but he was not far away from it . I mean Damascus set back or Palatines setback or the tripartite aggression in 1956 , but after

this long period , he became a national part whose poetry became affected by 1967 setback and he directed his range towards the president Jamal Abdula Nasar in his famous poem "A notebook about the Setbacks margins" . He directed his criticism towards the policy of the president Jamal and the Arab leaders, but after the death of Abdula Nasir he shifted suddenly by tackling the virtues of Abdula Nasir regretting his criticism and rage towards him by a new period began in which he was awakened and directed the blame towards the Arab leaders and their neglect in the national events . so this research came to represent all the periods which Al-Qabani went through in his poetic life. I reached at the fact that he is really the poet of women and politics as well as the other poets who interacted with the events.